



## أثر الأديان في إشاعة الأخلاق في العالم

خوسيه دي فينيسيا ، جيه آر.  
رئيس البرلمان الفلبيني السابق

يشرفني أن دعوت لهذا المؤتمر في مديرد ، الذي يعقد تحت رعاية من خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة السعودية. وأشكر الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور عبد الله التركي على دعوته الكريمة. هذا الحوار في مديرد يتبع الحوار الذي دار بين رجال الدين السنة والشيعة الشهر الماضي في مكة المكرمة ، والذي دعا جميع الشعوب بصرف النظر عن العرق أو الدين أو الثقافة أو البلد للعمل معاً على تعزيز ثقافة السلام والتسامح.

الملك عبد الله كمصلح

ليس هناك من رجل دولة يدرك بشكل دقيق من حاجة المجتمع العالمي إلى بناء جسر من التفاهم المتبادل والتعايش بين الشعوب أكثر من الملك عبدالله التي تلعب مملكة دوراً مهماً في دوامة صدام الحضارات. لم يبذل أحداً وقتاً وجهداً كما بذله جلالته في بناء الجسور مع الآخرين. فقد التقى بالجميع حتى إنه التقى البابا بنديكتوس السادس عشر في



الفاتيكان. لقد اكتسب الملك عبد الله بالفعل سمعة عالمية للسلام ، و ذلك بسبب جهوده للتوسط بين الفلسطينيين والإسرائيليين ، وكذلك بين الفصائل الفلسطينية ، فتح وحماس. فمشروع " الأرض مقابل السلام " يعتبر علي نطاق واسع أفضل صيغة لتسوية النزاع الفلسطيني الإسرائيلي الذي طال أمده. بالإضافة إلى دور الملك عبد الله الآن من خلال جهده مع قادة البلدان المصدرة للنفط لكبح ارتفاع أسعار النفط المتصاعدة.

#### الحوار بين السنة والشيعة

لا يمكن إنكار الحواجز التي أوجدتها الاختلافات العقائدية التي تفصل بين السنة والشيعة؛ بين هاتين المدرستين العظمتين في الإسلام. فإن الانقسامات داخل المسيحية أخذت قرون عديدة للوصول إلى حل بعد أن اندلعت في أوائل القرن السادس عشر. ولكن الملك عبد الله قد اتخذ الخطوات الأولى نحو المصالحة وقد قابل آية الله سيد علي خامنئي والرئيس الإيراني محمود أحمددي نجاد من خلال المساعي الحميدة للرئيس السابق هاشمي رفسنجاني. وأعلم كذلك أن اجتماع مكة لم يدعم الحوار في مدريد فحسب، ولكنه أوصى بإنشاء مركز للحوار الثقافي وجائزة تحمل اسم الملك عبد الله.

#### اسبانيا في تاريخ الإسلام والمسيحية

موقع إسبانيا من الناحية التاريخية يجعلها مكاناً مناسباً للمؤتمر الثاني التي دعا إليه الملك عبد الله .



فخلال حقبة الـ ٣٥٠ سنة من التعايش بين العالم المسيحي والعالم الإسلامي ابتداءً من منتصف القرن الثامن كانت أسبانيا أعظم المناطق حيث تخللها أعظم قدر من الاتصال والتفاعل فيما بينهم. فقد أثرى الإسلام الأسباني كل من التقاليد العربية الكلاسيكية وحضارة أوروبا المسيحية الناشئة في العصور الوسطى. مدينة طليطلة كانت أول مركز كبير لنقل الثقافة والعلم بما ذلك التراث اليوناني، الذي حافظ عليه العرب عبر الترجمة. إن حوار مدريد هذا يعد بداية لحقبة جديدة من التعاون بين الشعب العربي والأسباني بقيادة ملوك البلدين الملك عبد الله والملك الأسباني خوان كارلوس وشعب أوروبا لبناء أسس جديدة من التعايش بين الحضارات العظيمة.

### صعود الإسلام السياسي

هذه تعد الحوارات بين الأديان أمر مهم لهذا العالم خاصة في هذا الوقت المحفوف بالمخاطر. فقد أصبح الإرهاب الدولي الجانب المظلم للعولمة؛ فقد أحدث هذا الإرهاب عصراً جديداً من الحرب لعالمنا. فالثورة في مجال الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات وفتح الاقتصادات في كل مكان لنظام السوق تواجهه المجتمعات التقليدية بالقوى الهدامة والمتعلمة والقوى الاستهلاكية للحضارة الغربية.

العلمانية بشكل خاص تعتبر هدامة وذلك بسبب إدعاءها بالتمسك "بالعقلانية" مما يؤدي إلى إغلاق الإيمان بالله تمجيداً للعلم والفلسفة. ولكن بدون الثقل الأخلاقي لا يمكن حتى لأكثر المساعي البشرية العظيمة أن



تأمل في النجاح. فتحت ضغط هذا النفوذ المتطفل العاتي ، فإن العمليات النيابية في كثير من مناطق العالم الغربية قد فشلت وعليه أجبرت الإصلاحيين على العودة إلي الجهود القائمة على الدين وذلك علي المستويات السياسية ، والاقتصادية ، والثقافية ، مما أدى بدوره إلي ولادة جديدة لهذه المفاهيم. ويبدو أن صعود الإسلام السياسي قد نجم عن فشل القومية العلمانية لاستعادة الكرامة والشرف لشعوب العالم الإسلامي. إن التمزق الكبير الذي طرأ على المجتمعات التقليدية بسبب الثقافة العالمية الغازية أدت إلى إشعال كثير من الأزمات الاضافية. فثقافات الأقليات في كل مكان قد أصبح لديها الوعي وعدم الرضا المتزايد لرفض ثقافة الأغلبية الاعتراف بلغتهم وثقافتهم وأعرافهم. فقد أصبح واضحاً أن تحييد ثقافات الأقليات التي خلقتها موجات الهجرة الكبيرة للمجتمعات المتعددة الثقافات قد ولدت الإرهاب ولا سيما في أوروبا الغربية.

### رأي الديانات الكبرى في الإرهاب

إن العنف باسم الدين مخالف لله ، وللعقل . وبهذه الحقيقة تتفق الديانات الكبرى. مثل معظم المعلمين المسلمين المحترمين، فقادة الكنيسة الكاثوليكية ترفض أي دافع ديني للعنف أياً كان مصدره. فالبابا بنديكتوس السادس عشر يرى العقل كأساس لـ "الحوار الحقيقي" بين الثقافات والدين التي تمس الحاجة إليه وكان سلفه يوحنا بولس الثاني ، في رسالته التي وجهها بمناسبة عيد السنة الجديدة عام ٢٠٠٢ حيث أشار أنه إذا ما أردنا استعادة النظام الأخلاقي والاجتماعي التي مزقته أعمال العنف الرهيبة في ١١ سبتمبر



٢٠٠١ ، لا يمكننا أن نفعل ذلك إلا من خلال الرد على الإرهاب المنظم بشكل يجمع بين العدالة والغفران. إدانة الإرهابيين يجب أن تقف عندهم ولا تتجاوزهم لغيرهم وخاصة إذا ما تم استخدام الإرهاب كوسيلة سياسية وعسكرية فإنه حينئذ يعد جريمة حقيقية ضد الإنسانية والشعوب لها الحق في الدفاع عن أنفسها ضده. وكما أكد البابا يوحنا بولس الثاني على أن مسؤولية الإرهابيين تقف عندهم ويجب أن لا يتعدى اللوم إلى الأمة ، أو الجماعة العرقية أو الدينية التي ينتمي إليها الإرهابيون. وأصر البابا يوحنا بولس الثاني على أن وجود المظالم في العالم لا يمكن أن تستخدم لتبرير أعمال الإرهاب ، وأن التحالف المناهض للإرهاب هو واجب من أجل التخفيف من وطأة القهر والتهميش للشعوب التي تسهل عملية تجنيد الإرهابيين.

#### الجهود المبكرة للحوار بين الأديان

إن أول الحوارات قد بدأت فعلاً قبل أن يصبح الإرهاب مشكلة دولية. وأذكر أن الرابطة والحزب الديمقراطي المسيحي الدولي دعوني في عام ١٩٩٣ لرئاسة اجتماع عقد في موسكو يضم أيضاً ممثلين عن الفاتيكان والكنيسة الأرثوذكسية الروسية ، وذلك بعد أول اجتماع لهما في باريس. وكان مضيفنا الدكتور عبد الله عمر نصيف ، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي آنذاك ، وأندريه لويس نائب رئيس الاتحاد المسيحي الديمقراطي الدولي في ذلك الوقت. وكان هدف الحوار الذي عقد في موسكو إيجاد حل للمواجهة الدائرة بين مسلمي أذربيجان ومسيحي أرمينيا فيما يتعلق بجيب "ناغورني كاراباخ" على الحدود بين الدولتين. بصفتي رئيس مجلس النواب



الفلبيني كنت في ذلك الوقت نيابة عن الحكومة المركزية مكلفاً بالتفاوض مع الانفصاليين المسلمين في جنوب جزيرتنا الرئيسية مينداناو. وأردت كل من الرابطة والحزب الديمقراطي المسيحي الدولي الاستفادة من خبرتنا المتعلقة في مينداناو باعتباره نموذجاً ممكن لتحويل الهدنة في ناغورني كاراباخ. فعند وجودنا في موسكو اقترحت أن يوجد تحالفاً واسع النطاق بين المسيحيين والمسلمين من أجل السلام حيث شعرنا أن هذا من شأنه أن يخفف من حدة التوتر في كل مناطق المواجهة بين المسلمين والمسيحيين في افريقيا وفلسطين، وجورجيا، والشيشان والبوسنة والهرسك ومينداناو وشرق اندونيسيا. في ذلك الوقت تم عقد هدنة في كل من ناغورني كاراباخ ومينداناو في عامي ١٩٩٤ و ١٩٩٦، على التوالي، ولحسن الحظ تم احترام تلك الهدنتان فعلياً حتى الآن.

### الثقافة الجديدة للمسؤولية

كل تجربة تتضمن درسا، وصدمة الإرهاب قد منحتنا كما يظهر ذلك في عبارة يوحنا بولس الثاني صورة أوضح عن وحدة العائلة البشرية. ويتزايد إدراكنا جميعاً أنه ما من أحد منا يعيش لنفسه وحده. نحن جميعاً مسؤولون عن بعضنا البعض. وهذه الثقافة الجديدة للمسؤولية تجبرنا على سد الفجوة الكبيرة التي تفصل بين الأسرة البشرية. وهكذا بدأ المجتمع العالمي يدرك أن كل دولة أصبحت مهددة من قبل قوى الفوضى التي تسود النظام العالمي وأن الفقر والقمع واليأس في أي مكان في العالم يجب أن يصبح موضع اهتمام الجميع. ولهذا السبب فنحن الفلبينيين مثل الكثير من البلدان الفقيرة الأخرى



المجندين في إطار حملة مكافحة الإرهاب نعتقد أن المجتمع الدولي يجب أن ينظر إلى ما وراء الحرب على الإرهاب، ويبدأ في التعامل مرة وإلى الأبد مع المظالم التي تدفع إليه.

### ولا يزال الفقر الجماعي يضطهد عالمنا

حيث يصبح الغني أكثر غنى والفقراء يزدادون فقراً وهذه حقيقة من حقائق الحياة في العالم. نصف سكان العالم ما زالوا يعيشون على أقل من دولار اميركي واحد في اليوم. ورغم أن التجارة العالمية قد ارتفعت بمعدل أسرع من الناتج العالمي، فإن حصة البلدان الفقيرة النسبية قد انخفضت بسبب نظام الحماية الذي تفرضه الاقتصادات الغنية. والحقيقة الواضحة أن القواعد التي تحكمت بالبيئة العالمية للسنوات الـ ١٥٠ الماضية لم تعد قابلة للتطبيق. فإن الثورات التكنولوجية والثقافية تشكل في مجموعها عالماً جديداً. يجب على المجتمع العالمي أن يفعل كل ما في وسعه للقضاء على الفقر بوصفه مصدراً للصراع عن طريق مساعدة أفقر الشعوب في العالم للمشاركة في المشاريع البشرية للتنمية.

### التفاهم بين الحضارات العظيمة

يجب علينا أيضاً أن نسعى إلى تحقيق التفاهم المتعدد الثقافات والذي يعتبر الأساس الوحيد لتحقيق الأمن في المجتمع العالمي على المدى الطويل. فالتفاهم بين الحضارات العظيمة هو الأساس الوحيد للسلام العالمي الذي سيدوم. ولهذا الغرض لا بد لنا من تعبئة كل من الكنائس والمعابد والكنس والمساجد؛ تعبئة كل من البوذيين والهندوس، الكنفوشيون، واليهود، ليس



بدرجة أقل من المسيحيين والمسلمين ، وكذلك الأحزاب السياسية وعموم المجتمع المدني العالمي. وإذا تبقى شيئاً من الأحقاد التاريخية، علينا إخراجها إلى العلن ومناقشتها من أجل الوصول إلى تسوية واتفاق حولها. ومن الطبيعي أن نعلم أن الحوار يجب أن لا يهدف إلى توحيد الأديان أو الخلط بينها، لأن الخلافات بينهما ربما قد تكون مقدره بإرادة وحكمة الله. ولكن تحت هذه الخلافات نحن أسرة بشرية واحدة في ظل رب واحد؛ وإنني أتصور ذلك اليوم حين يدعو الله في الوقت المناسب كل عبده من الطرف الأول للأرض إلى نهاية الطرف الآخر، يقودهم في النهاية إلى مملكته السماوية.

#### إضفاء الطابع المؤسسي على الحوار بين الأديان

علينا أن لا نتوقع معجزات من هذه الحوارات بين الأديان عدا القلوب المفتوحة ، والرغبة في الاطلاع على وجهة نظر الطرف الآخر والقدر الكبير من الصبر. ولإضفاء الطابع المؤسسي على هذه الحوارات ، اقترحت دولتي تشكيل "مجلس الأديان" في منظومة الأمم المتحدة ، وليس مجرد "مركز تنسيق" في مكتب الأمين العام أو في المجلس الاقتصادي والاجتماعي لتنسيق ورصد هذه الحوارات. ولكن إذا كان إنشاء المجلس الجديد به صعوبة كما حذر بعض القانونيين ربما يمكن كتابة تفويض بين الأديان ضمن نظام مهام مجلس الوصاية ، الذي -على أي حال- قد نفذت مناطق الوصاية التي يشرف عليها. من هنا أطلب من الملك عبدالله ، والملك كارلوس والمجتمعين هنا جميعاً في مدريد قيادة حركة من أجل إنشاء "مجلس الأديان" في الأمم المتحدة.

يجب علينا أن نتعلم افساح المجال للديانات الأخرى؛ ففي نهاية المطاف



كما قال الرئيس الأميركي السابق بيل كلينتون إن القرن الحادي والعشرين سيتميز بخيار بسيط وهو أن الدول يجب أن تختار بين أمرين سواء التأكيد على اختلافاتها العريقة والأيدولوجية والدينية أو إنسانيتهم المشتركة. ولكن الدول لا يمكن أن تأتي بالخيار الصحيح إذا أصرت شعوبهم على أن "ديننا يجب أن يسود" لأن هذا الادعاء لا يمكن أن يثبت إلا من خلال نفي جميع الأديان الأخرى. لذا لا بد لنا من إعادة تفسير تقاليدنا لتبني التعددية في الثقافة والمجتمع. يجب أن نتعلم افساح المجال للأديان البديلة. في نهايه الأمر كل دين عظيم نشأ من نفس نبع الإيمان فنحن مؤمنون بتدخل الله المباشر والحاسم في تاريخ البشرية مظهرا قدراته للبشرية.

### الخلق العالمي الذي ينبغي أن يتمثل به كل دين

قضى عالم اللاهوت الألماني هانز كونغ حياته في دراسة الديانات الكبرى ، في محاولة لفهم رسائلها الأخلاقية للعالم الممزق بالصراعات. وعمل تلخيص رؤيته المفعمومة بالأمل في أربع نقاط:

- ١- لا سلام بين الأمم دون سلام بين الأديان.
  - ٢- لا سلام بين الأديان بدون حوار بين الأديان.
  - ٣- لا حوار بين الأديان بدون معايير أخلاقية عالمية.
  - ٤- ولا بقاء لعالمنا بدون أخلاق عالمية.
- " لا بقاء لعالمنا بدون أخلاق عالمية " .

هذا يدل على مدى أهمية البحث عن القيم والمعايير الأخلاقية التي يمكن



أن تتشارك فيها كل الأديان والنظم العقائدية وذلك بتجاوز خلافاتهم السطحية في العقائد والرموز والطقوس. يجب علينا أن نقبل أن كل مجتمع، سواء أكان كبيراً أم صغيراً يحتاج إلى توافق في الآراء بشأن الأخلاق، وذلك بعدم الخضوع إما إلى الفوضى، أو إلى هيمنة القوي. فبدون أخلاق عالمية، النظام العالمي لن يكتب له الاستمرار. وجوهر هذه الأخلاقيات العالمية كما أشار هانز كونغ هو أن البشر يمكنهم أن يكتشفوا الكثير بمبدأ بسيط ولكنه عميق: "عامل الآخرين كما تحب أن يعاملوك".

يمكن أن تكون هذه "القاعدة الذهبية" القاسم المشترك الأخلاقي بين جميع الأديان، حتى في النظم غير العقائدية على الأرض. كما يؤكد هانز كونغ أن الأخلاق العالمية لا تعد بديلاً عن كتب الأديان الكبرى مثل التوراة، وخطبة الجبل، والقرآن، خطابات بوذا ومقتطفات كونفوشيوس. كما أنها ليست أيديولوجية عالمية. فالأخلاق العالمية ليست سوى الحد الأدنى اللازم لقيم ملزمة ومعايير أزلية ومسالك أخلاقية التي تؤكد جميع الأديان، بل ولدرجة أن غير المؤمنين يدعمونها.

الاتحاد العالمي للسلام طرح أول مبدأ له: أننا جميعاً عيال الله، وننتهي إلى "أسرة بشرية واحدة في ظل الله".

وخلاصة القول إن أخلاقيات البشرية جمعاء وهي القاعدة الذهبية التي يمكن أن تصبح نواة الاتفاق المبدئي الذي يمكن لحوار الأديان في عصرنا أن يبني عليها ألف سنة من السلام؛ سلاماً أكثر من مجرد غياب الصراع؛ ولكن سلام مجتمع المتقاسم: السلام الذي يمكن كل رجل تحت شجر الكرم شجر التين.